مخطوط "الإباء عن مواقع الوباء" لإدريس بن حسام الدين البدليسي الحنفي (930هـ) دراسة وتقديمًا

Manuscript " al'iiba' ean mawaqie alwiba(Epidemic Sites)" by Idris bin Husam al-Din al-Badlisi al-Hanafi (930 h) Study and presentation

د. فؤاد بن أحمد عطاء الله[1]،

جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية fouadatallah1982@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/08/19م تاريخ القبول:2020/11/16 تاريخ النشر: 2020/12/12

ملخص:

يتضمّن هذا البحث وصفا وتقديما لمخطوط: "الإباء عن مواقع الوباء" لإدريس بن حسام الدين البدليسي الحنفي (930هـ)، درس فيه المؤلِّف رحمه الله موضوع الفرار من الوباء والطاعون، وحكم الدخول على المدن الموبوءة، وجمع فيه المؤلف بين الدراسة الشرعية والطب النبوي والطب التجريبي، وتضمّن مباحث ومسائل نفيسة، وقد أراد الباحث التعريف بالمخطوط، وذلك تمهيدا لتحقيقه في أعداد قادمة إن شاء الله تعالى؛ لأنه لم يُحقّق من قبل، ولم يُنشَر، ولم يحظ بدراسة أكاديميّة جادّة، فاشتمل البحث على تمهيد، ومقدّمة، ومبحثين، وخاتمة، تضمّنت التعريف بالمؤلِّف، والتعريف بالمخطوط، واستخدم فيها الباحث المنهجين الوصفي والتاريخي، كما خرج البحث بجملة من النّتائج المفيدة منها أهمية هذا المخطوط وقيمته الشرعية والطبية، وأوصى الباحث بالاستمرار في العناية بتراث علماء المسلمين في مختلف العلوم والتخصصات.

كلمات مفتاحية: مخطوط، الطاعون، إدريس بن حسام الدين، البدليسي، الوباء.

Abstract:

The research includes a study and a presentation of the manuscript: "al'iiba' ean mawaqie alwiba(Epidemic Sites)" by Idris bin Husam al-Din al-Badlisi al-Hanafi (930 h). In this manuscript he studied issues related to plague in Sharia and medicine. The researcher wanted to publish the manuscript; because it was not published before, and it did not have a

[1] المؤلف المرسل:

serious academic study. So the research included an introduction, two chapters, and a conclusion, which included the definition of the author and the definition of the manuscript, the researcher used the historical approach and the descriptive approach, as the research reached a number of important results, and the researcher recommended a set of important recommendations related to the subject of research.

Keywords: Manuscript, al-Badlisi, Idris bin Husam al-Din, the epidemic, the plague, symptoms, diseases, medication, prophetic medicine.

1. مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وإخوانه أجمعين، أمّا بعد:

فهذا مخطوط نافع، وكتاب ماتع، عنوانه: "الإباء عن مواقع الوباء"، صنّفهُ الفقيه الحنفي إدريس بن حسام الدين البدليسي (930هـ)، يتعلّق موضوعه بالطاعون والوباء، وحكم القدوم على بلد حلّ فيه الوباء والطاعون.

وقد رأيتُ نشر هذا المخطوط وتحقيقه والعناية به؛ لأنه لم يُحقّق من قبل، رغم أنه احتوى على غُرَرِ الفوائد، ودُرَرِ الفرائد.

أهمّية البحث

يكتسي موضوع البحث أهمّيّة كبيرة، يمكن تجليتُها في النّقاط الآتية:

* يتعلّق موضوع المخطوط بالوباء والطاعون من الناحية الشرعية، في التفسير، والحديث، والفقه، ومن الناحية الطبية سواء ما اتّصل منها بالطب النبوي أو الطب التجريبي عند المسلمين، ولا يخفى ما لهذا الموضوع من أهميّة شرعية وطبية.

* القيمة العلميّة للمخطوط، حيث ضمّنه المؤلّف دراسة شرعية وطبية للوباء والطّاعون.

* إبراز إسهامات علماء وفقهاء المسلمين في التّأليف في موضوع الوباء والطاعون، وما يتصل بذلك مما يتعلّق بعلمَي الطب النبوي والطب التجريبي.

* إثراء المكتبة الإسلامية والعربيّة بهذا المخطوط، الذي لم يحظَ بالتحقيق من قبل.

*تقديم فكرة طيّبة عن حقبة تاريخيّة مهمّة في تاريخ الأمة الإسلاميّة، وذلك من خلال عرض شيء من علومها، وفهومها، وثقافاتها، وتجلية مشكلاتها الاجتماعيّة، والصّحّيّة، وكيف كان العلماء رحمهم الله تعالى يتعاملون معها، وكيف كانوا يسهمون بشكل إيجابيّ واضح في خدمة أمتهم، وفي حلحلة مشكلات عصرهم.

* لا شكّ أنّ خدمة التّراث وتحقيق المخطوطات ونشرها من الأعمال الجليلة التي ينبغي أن يعتني بها الباحثون في الدّراسات الشّرعية، فإنّه لا تزال الآلاف من المخطوطات محجوبة عن النّور، مغيّبة في خزائن المخطوطات، معرّضة للتّلف والضّياع، وهذا البحث ما هو إلا جهد متواضع في خدمة تراث علماء الأمّة الإسلاميّة وحماية علومهم ومؤلّفاتهم.

إشكاليّة البحث

ما تزال كثير من المخطوطات الإسلامية المتعلقة بالوباء والطاعون لم تحظ بعدُ بالدراسة والتحقيق، وهذا واحد منها، ولذلك عزمت على دراسته وتحقيقه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن طبيعة هذا البحث، وكونه تعريفا ودراسة لمخطوط، تحتّم علينا طرح تساؤلات أخرى، حول صحّة نسبة المخطوط إلى المؤلّف، ونحو ذلك ممّا يقتضيه تحقيق المخطوطات وخدمة التّراث.

دون أن ننسى أمرا آخر في غاية الأهميّة، وهو كون المؤلِّف من علماء وفقهاء الحنفية، الذين لهم عناية بالتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه وغيرها من العلوم الشرعية، فإنّ هذا يدفعنا إلى التّساؤل أيضا عن جهود فقهاء المسلمين في التأليف في الأمراض والأوبئة والطواعين، وما يرتبط بها من قضايا الطبّ والصّيدلة. وجميع هذه القضايا تشكِّلُ في الحقيقة الإشكاليّة المِحوريّة التي يُحاولُ هذا البحثُ الإجابة عنها.

الدّراسات السّابقة

ألّف علماء الإسلام في أحكام الوباء والطّاعون كتبا كثيرة منها:

1. (كتاب الطّواعين) (ذكره ابن النديم في الفهرست ص: 231) للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمّد بن عبيد الله بن أبي الدّنيا (281هـ).

2. (جزء في الطّاعون) (ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون 1/876)، لتاج الدّين عبد الوهاب بن عليّ بن عبد الكافي السّبكي (771هـ).

3.(الطّبّ المسنون في دفع الطّاعون)(منه نسخة خطية في مكتبة: الخديوية رقم الحفظ 7/588(ن ع 8348)) ، لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي بكر ابن أبي حجلة التّلمساني (776هـ).

4.(جزء في الطاعون)(ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون 1/876) ، لمؤلّفه: محمد بن بهادر بن عبد اللَّه بدر الدين الزركشي المصري الشافعي (ت: 794هـ).

5.(بذل الماعون في فوائد الطاعون)(حققه أحمد عاصم عبد القادر الكاتب.. و هو أصل المخطوط الذي أسعى إلى تحقيقه) ، في الحديث والفقه، لمؤلّفه: أحمد بن محمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ).

6.(ما رواه الواعون في أخبار الطاعون)(طبع دة مرات) ، لمؤلّفه: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد, السيوطي (ت: 911هـ).

7.(تحفه الراغبين في بيان أمر الطواعين)(حققه الطالب: عبد الرحمن صحراوي-الجزائر) ، في الفقه، لمؤلّفه: زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري (ت: 926هـ).

8.(أوراقٌ وفوائدُ في أحكام الطَّاعون)(حققه فؤاد عطا الله- الجزائر)، في الحديث والفقه، لمؤلفه: محمَّد بن الحسن بن مسعود البنَّاني الفاسي المغربي المالكي (ت:1194هـ).

وغير ذلك كثير، وهي تربو بعد الإحصاء على السبعين مصنّفا في أحكام الطّاعون، منها ما هو مطبوع منشور، ومنها ما لا يزالُ مخطوطا، وهذا الكتاب الذي نحن بصدد تحقيقه؛ واحد من

تلك المخطوطات المُغفلة، التي لم تحظ بالدّراسة والتحقيق(أنظر: محمَّد بن الحسن بن مسعود 2018م، ص: 757.).

ولذلك عزمت على خدمته والعناية به، وإخراجه في حُلَّةٍ جديدة، وهذا أقلّ ما يجب علينا تقديمه لتُراث علماء أمّتنا –رحمهم الله تعالى-.

و الإضافة العلميّة التي يُقدّمها هذا البحث أنّه يُخرج إلى عالم النّور كتابا متخصّصا في أحكام الطاعون، وما يتعلّق به من قضايا الطبّ النبوي والطب التجريبي، ألّفه أحد فقهاء الحنفية في القرن العاشر الهجري، ولا شكّ أنّ في هذا إثراءً للمكتبة الإسلامية والعربيّة بهذه الإضافة العلميّة الجادّة، ويختلف هذا المخطوط عن غيره من المخطوطات والمصنّفات الأخرى عن الوباء والطاعون أن مؤلفه متأخّر نوعا ما، بينما كثير من المؤلفات التي سبق ذكرها أُلِّفت في فترات مبكّرة، وملاحظة التسلسل الزمني للتأليف في هذا الموضوع، يتيح لنا فرصة التعرّف على مدى تطوّر المعالجة الشرعية والطبية للوباء والطاعون عند المسلمين.

خطّة البحث

يشتمل البحث على تعريف ودراسة للمخطوط، وأمّا النصّ المُحقّق للكتاب فسأنشره في أعداد لاحقة بإذن الله تعالى، وتحقيقا لهذا الغرض فقد انتظمت خطة البحث في مقدّمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

* أمّا المقدّمة فتشتمل على التعريف بالبحث، وبيان أهميّته، وخطّته، والدّراسات السّابقة.

* وأما التمهيد فعرفت فيه مصطلح الوباء، ومصطلح الطاعون، وبيّنتُ العلاقة بينهما.

* وأمّا المبحث الأوّل ففيه التعريف بالمؤلِّف، وذلك ببيان اسمه ونسبه، ومولده، ونشأته وطلبه للعلم، وأعماله ووظائفه، وشيوخه وتلاميذه، ومكانته العلميّة، ووفاته، ومؤلَّفاته.

* وأمّا المبحث الثّاني فيشتمل على التّعريف بالمخطوط، وموضوعه، وصحة نسبته، ووصف نسخته الخطيّة ونحو ذلك.

* و أمّا الخاتمة ففيها أهمّ نتائج البحث، والتوصيات المقترحة.

منهج البحث

استخدمت في إعداد هذا البحث جملة من المناهج العلميّة، منها:

* المنهج التّاريخي، واستخدمته في ضبط ترجمة تاريخيّة للمؤلّف.

* المنهج الوصفي، واستخدمته في وصف النّسخة الخطيّة للكتاب وموضوعاته ومحتوياته.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

2- تمهيد: التعريف بالوباء والطاعون

اهتمّ الفقهاء وعلماء الشريعة بالقضايا والنوازل التي تحدث للناس في واقعهم المعاش، وتناولوها بالبحث والتأصيل والتشريع، ومن هذه القضايا قضايا الأمراض والأوبئة التي تهاجم الإنسان بين فترة وأخرى، وكيف السبيل إلى التعامل معها وحفظ النفس منها، وقد كتب ثلّة من العلماء في هذا المجال، وتركوا إرثا عظيما للأمة الإسلامية في مجال العناية بالصحة، وحفض النفس عبر العصور والأزمان، وقد سبق في المقدمة عرض عدد منها.

و فيما يأتي تعريف الوباء والطاعون، وتوضيح العلاقة بينهما.

الفرع الأول: تعريف الوباء لغة واصطلاحا

الوباء لغة: هو الطّاعون، ويطلق على كلّ مرض عام، وأرض وبِئةٌ: إذا كثُر فيها المرض(الخليل بن أحمد الفراهيدي، 418/8، ابن فارس، 267/13، ابن منظور، 189/1.).

الوباء اصطلاحا: هو المرض العام، الذي ينتشر(ابن القيم، 36/4.) ، وهو لا يختلف عن معناه اللّغوي.

والوباء في الطب الحديث هو: هو انتشار مفاجئ وسريع لمرض في رقعة جغرافية ما فوق معدلاته المعتادة في المنطقة المعنية(ويكيبيديا، تاريخ: 2020/08/13م).

الفرع الثاني: تعريف الطّاعون لغة واصطلاحا

الطاعون لغة: هو داء معروف عند العرب، وهو مرض عام، والمصاب بالطاعون مطعون(الخليل بن أحمد الفراهيدي، 15/2، ابن منظور، 267/13.) ، ويقال له طعين، قال الشّاعر:

فَبِتُّ كَأَنَّنِي حَرِجٌ لَعِينٌ نَفَاهُ النَّاسُ، أَوْ دَنِسٌ طَعِينٌ

* البيت نسبه الخليل بن أحمد الفراهيدي للنابغة، انظر: العين، 15/2، ولكن لم أجده في ديوان النابغة بعد البحث والتقصي، والله أعلم بالصواب

الطاعون اصطلاحا: هو مرض من الأمراض المعدية القاتلة(ابن القيم، 36/4.). وهو لا يختلف عن معناه اللغوي.

و الطاعون في الطب الحديث: هو مرض معدٍ، يسببه نوع من البكرتيريا تسمى: إنتروبكتريسا يرسينية طاعونية(ويكيبيديا، تاريخ: 2020/08/13م).

و أما العلاقة بين الوباء والطّاعون فقد بيّن العلامة ابن القيم رحمه الله (751هـ) أنّ بينهما عموما وخصوصا، فكلّ طاعون وباء، وليس كلّ وباء طاعونا(ابن القيم، 36/4.) ، ووجه العموم والخصوص بينهما أن الطاعون أخص وأضيق من الوباء، والوباء أعمّ وأوسع، أيّ أنّ الوباء أعم من الطاعون، والطاعون أحد أصناف وأنواع الوباء، وهذه العلاقة بين الوباء والطاعون تمتد إلى العلاقة بينهما في الطب الحديث أيضا، فمثلا فيروس كورونا وباء وليس طاعونا.

3-المبحث الأوّل: التّعريف بالمؤلّف

و فيه التعريف باسم المؤلف، ومولده، ونشأته، ومكانته العلمية، ووفاته.

أوّلا: اسمه ونسبه

هو إِدْرِيسُ بنُ حُسَامِ الدِّينِ بنِ عَلِيِّ البَدْلِيسِيُّ، العَجَمِيُّ، ثُمّ الرُّومِيُّ، الحَنَفِيُّ.(طاش كبري زاده، ص: 190، الغزي، 161/1، جلبي، 277/1، حاجي خليفة، 283/1، ابن العماد، 184/10، البغدادي، 410/3، البغدادي، 196/1، القرة بلوط، 620/1، عمر رضا كحالة، 217/2.)

ثانيا: مولده

لم تذكر كتب التراجم مكان ولا سنة ولادة المؤلف(المصادر السابقة).

ثالثا: نشأته وطلبه للعلم

يبدو أن طلبه للعلم كان جلّه في أسطنبول وما جاورها من البلاد، وفيها اشتغل بفنون العلوم.(طاش كبري زاده، ص: 190، الغزي، 161/1، الحاجي خليفة، 277/1، الحاجي خليفة، 283/1، ابن العماد، 184/10.)

رابعا: مكانته العلميّة

تبوّأ المؤلّف –رحمه الله- مكانة علميّة عند علماء عصره، وأثنى عليه العلماء.

قال طاشكبري زاده رحمه الله: "وَمِنْهُم الْعَالم الْفَاضِل الْمولى إدريس بن حسام الدّين البدليسي، كَانَ موقفا لديوان أمراء الْعَجم، وَلما حدثت فتْنَة ابْن أردبيل، ارتحل إِلَى بِلَاد الرّوم، فَأكْرمه السُّلْطَان بايزيدخان غَايَة الإكرام، وَعين لَهُ مشاهرة ومسانهة، وعاش فِي كنف حمايته عيشة راضية، وَأمره أن ينشئ تواريخ آل عُثْمَان بِالْفَارِسِيَّةِ، فصنفها وَكَانَت عديمة النظير، فاقدة القرين، بِحَيْثُ فاقت إنشاء الأقدمين، وَلم يبلغ شأوه أحْدٌ من الْمُتَأَخِّرين، وَله قصائد بِالْعَرَبِيَّةِ والفارسية، بِحَيْثُ تفوت الْحصْر، وَله رسائل عَجِيبَة فِي مطَالب مُتَفَرِّقَة، لَا يُمكن تعدادها، وَبِالْجُمْلَةِ كَانَ من نَوَادِر الدَّهْر، ومفردات الْعَصْر"(طاش كبري زاده، ص: 190).

وقال الغزّي: "إدريس بن حسام الدين، العالم الفاضل المولى البدليسي العجمي، ثم الرومي الحنفي"(الغزي، 161/1).

وقال حاجي خليفة رحمه الله: "العالم الفاضل إدريس بن حسام الدين بن علي البدليسي"(الحاجي خليفة، 277/1.).

وقال ابن العماد الحنبلي رحمه الله: "المولى إدريس بن حسام الدّين البدليسي العجمي ثم الرّومي الحنفي العالم الفاضل"(ابن العماد، 184/10).

وقال عنه عمر رضا كحالة رحمه الله: "عالم مشارك في أنواع من العلوم"(عمر رضا كحالة، 217/2.).

خامسا: وفاته

توفي المؤلّف رحمه الله سنة ثلاثين وتسعمائة للهجرة (930هـ)(المصدر السابق).

سادسا: مؤلَّفاته

للمؤلِّف –رحمه الله- مؤلّفات منها:

أ.الإباء عن مواقع الوباء، وهو الكتاب الذي أسعى إلى دراسته في هذا البحث.

ب.كتاب في التاريخ(ذكره حاجي خليفة 281/1.).

ج.كتاب بالفارسية(ذكره البغدادي 196/1.).

4-المبحث الثّاني: التّعريف بالمخطوط

وفيه التعريف بالمخطوط من جهة عنوانه، وسبب تأليفه، وموضوعاته، وموارده، وصحّة نسبته للمؤلِّف، ووصف نسخته الخطيّة.

أولا: عنوان المخطوط

سمّى المؤلِّف –رحمه الله- هذا المخطوط بعنوان: (الإباء عن مواقع الوباء)، وقد ذكر هذه العبارة في مقدمة المخطوط فقال: "فَامْتَنَعْتُ مِنَ الإِقْدَامِ إِلَى قُدُومِ تِلكَ البِلَادِ، للمُعَاوَدَةِ نَحْوَ مَمَالِكِ الرُّومِ، مِن طَرِيقِ البَحْرِ المعتَادِ، فَأَنكَرَ عَلَيّ فِي ذَلِكَ الإِبَاءِ عَن مَوَاقِعِ الوَبَاء... فَلَمَّا وُفِّقْتُ فِي تَرْتِيبِهِ بِمَا لَمْ يَسْمَحْ بِهِ أَبْنَاءُ الزَّمَانِ، وَتَفَرَّدت فِي مَجْمُوعِهِ هَذِهِ المزَايَا وَالخَوَاصّ بِمَا لَمْ يَسْبِقْ عَلَيْهِ أَحَدٌ قَبْلِي بِتَوْفِيقِ اللهِ المنَّانِ، فَسَمَّيْتُهَا بِرِسَالَةِ "الإِبَاء عَن مَوَاقِعِ الوَبَاء"..."."(النسخة الخطية، اللوحة: 2، الوجه: 2).

وهو كذلك العنوان الذي عُرِف به الكتاب في كتب التّراجم وفهارس الكُتُب، قال عمر رضا كحالة رحمه الله: "تَوَجَّهَ من القسطنطينية إلى نحو الإسكندرية بطريق البحر، فحج، ولما دخل الشام، سمع أن بمصر نازلة الوباء، فامتنع من الدخول إليها، وسافر في البحر إلى

القسطنطينية، فأنكر عليه جمع من العلماء بدمشق وحلب، فصنف رسالة في الطاعون وجواز الفرار عنه، وسماها الإباء عن مواقع الوباء"(عمر رضا كحالة، 217/2).

ثانيا: تحقيق صحّة نسبة المخطوط للمؤلّف

نسبة المخطوط إلى المؤلّف –رحمه الله- صحيحة لا شكّ فيها، ويدلّ على ذلك عدد من الأدلّة:

الأول: أنّ الناسخ ذكر اسم المؤلف في غلاف المخطوط في كلا النسختين الخطيّتين.

الثّاني: أن المؤلف ذكر اسمه كاملا في مقدمة المخطوط، فقال رحمه الله: "وَبَعْدُ: فَيَقُولُ العَبدُ الضَّعِيفُ المتَوكِّلُ عَلَى اللَّطِيفِ، أَفْقَرُ الوَرَى، وَأَحْقَرُ الفُقَرَاء: إِدْرِيسُ بنُ حُسَامِ الدِّينِ البَدْلِيسِيّ، أَصْلَحَ اللهُ أَعْمَالَهُ، وَحَصَّلَ بِالحُسْنَى آمَالَهُ"(النسخة الخطية، اللوحة: 2، الوجه: 2).

الثالث: صحّحت بعض كتب الفهارس والتّراجم نسبة الكتاب إلى المؤلّف، كما صرح بذلك حاجي خليفة في "كشف الظنون"، والبغدادي في "إيضاح المكنون"، وفي "هدية العارفين"، والقرة بلوط في "معجم التاريخ"، وعمر رضا كحالة في "معجم المؤلفين"(الحاجي خليفة، 283/1، البغدادي، 410/3، البغدادي، 196/1، القرة بلوط، 620/1، عمر رضا كحالة، 217/2.).

ثالثا: سبب تأليفه

ذكر المؤلّف رحمه الله السبب الذي دفعه لتأليف هذا المصنّف، فذكر أنه حين أراد خول القاهرة، سمع بأنه حلّ بها الوباء، فأبى الدخول عليها، فلما أنكر عليه بعض الفقهاء، أجابهم بتأليف هذا الكتاب، قال المؤلّف رحمه الله في مقدّمة المخطوط: "إِنَّهُ لَمَّا وَفَّقَنِي التَّوْفِيقُ الرَّبَّانِيُّ، وَسَاعَدَنِي العَونُ الصَّمَدَانِيُّ، بِأَن شَدَدتُ رِحَالَ الأَعْزَامِ، وَقَصَدتُ شَدَّ نِطَاقِ اللَّهَفِ وَالغَرَامِ وَالإِحْرَامِ بَيْت اللهِ الحَرَام، فَهَجَرتُ مِن دَارِ الخِلَافَةِ البَايَزِيدخَانِيَّةِ خَصَّهُ اللهُ بِالرَّحَمَاتِ الرَّحْمَانِيَّةِ، أَعْنِي قَسْطَنطِينَةَ، مُتَوَجِّهًا نَحْوَ الإِسْكَندَرِيَّةِ وَالبِلَادِ المصْرِيَّةِ فِي شُهُورِ سَنَةِ 917هـ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، رَاكِبًا عَلَى سُفُنِ تَيَّارِ البَحْرِ الزّخَّارِ، بِتَهْبِيجِ رِيَاحِ الأَشْوَاقِ، وَشَارِعًا مُسَارِعًا عَلَى المركَبِ السَّيَّارِ، بِتَمْوِيجِ نَسِيمِ الشَّمَالِ السَّبَّاقِ إِلَى حُسْنِ المسَاقِ بِلَا ارْتِكَابِ المشَاقِّ.

فَلَمَّا قَرَّتْ بِطَوافِ البيتِ الحرامِ، وَخَرَّت المبَاغِي من التِثامِ الرُّكْنِ وَالمقَامِ، تَعَاضَدَت الأَخْبَارُ، وَتَوَارَدَت الآثارُ بنُزُولِ نَازلةِ الوَبَاءِ الشَّدِيدِ بمصْرَ القَاهِرَةِ وَتَوَابِعِهَا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ، فَامْتَنَعْتُ مِنَ الإِقْدَامِ إِلَى قُدُومِ تلكَ البِلادِ لِلمُعَاوَدةِ نَحْوَ مَمَالكِ الرُّومِ مِن طَرِيقِ البَحْرِ المعْتَادِ، فَأَنكَرَ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ الإِباءِ عَن مَواقِعِ الوَبَاءِ جَمْعٌ منَ العُلماءِ والأتقياءِ، فِي البلادِ الدِّمشقيَّةِ والحلبيَّةِ، وَوَافقهُم جَمٌّ غفيرٌ من المشتَهِرين بالصُّوفيةِ منَ الأتقياءِ العجميَّةِ والعربيَّةِ، فتجنّبتُ وأعرضتُ عن المباراةِ معهم بِطريقِ القِيلِ والقالِ، وقلتُ لهُم: عَسَى أَن يَهدينَا وإياكم سَواءَ السَّبيلِ.

وحيثُ انتهيتُ غايةَ اجتيازِي ومسيرِي إلى قَيْصَرِيَّةِ الرُّومِ، وتفحّصتُ من كلّ مجهولٍ ومعلومٍ، فَقَرعَ سمعِي من الواردينَ عن تِلكَ الأمصارِ خبرُ شُيُوعِ الضُّرّ والضّرارِ من الوباءِ السّارِي والطَّاعُونِ السَّيَّارِ، بمُعظماتِ البلادِ الرُّوميَّةِ وأمَّهاتِ الدِّيارِ فتقَاعدتُ مِنَ الإِسْراعِ، وامتنعتُ عنِ القُدُومِ إليهَا غَايةَ الامتِناعِ، وانتَشَرَتْ من صَرائِحِ عِباراتِي وانتَثَرَت فِي جَمِيعِ مَحَافِلِ مُحَاوَرَاتِي أَنَّ الحَذَرَ والاتّقَاءَ مِن البَلَدِ الذِي حلَّ بِهِ الوَبَاءُ والطَّاعُونُ حكمٌ شرعيٌّ، وقانونٌ عقليٌّ، بلْ هُوَ مندُوبٌ ومسْنُونٌ، والدُّخُولُ فِي الأَماكنِ الوَبَوِيَّةِ فعلٌ حرامٌ شرعًا وعقلًا، لَا يعمَلُهُ العُقلاءُ والعالمون، وَلا يرتكِبُهُ إلا المبتَلَى بمرَضِ الخَبَلِ والجُنُونِ...

فأوجبتُ على نفسي حُسبةً لله، ومعتصما بهداية الله، ورغبةً في إنفَاعِ عباد الله، وإيقاع السَّكينة في قلوب الطالبين، لما يحبُّه اللهُ ويرضاهُ، أن أرتّبَ رسالةً نفَّاعَةً عَلَى قَدرِ البِضَاعَةِ والاستِطَاعةِ فِي تَنقِيحِ أُصُولِ هذه المطالبِ، وترجيحِ ما هُو الحقُّ اليقينُ لكلّ طَالِب.

فَلَمَّا وُفِّقْتُ فِي تَرْتِيبِهِ بِمَا لَمْ يَسْمَحْ بِهِ أَبْنَاءُ الزَّمَانِ، وَتَفَرَّدت فِي مَجْمُوعِهِ هَذِهِ المزَايَا وَالخَوَاصّ بِمَا لَمْ يَسْبِقْ عَلَيْهِ أَحَدٌ قَبْلِي بِتَوْفِيقِ اللهِ المنَّانِ، فَسَمَّيْتُهَا بِرِسَالَةِ "الإِبَاء عَن مَوَاقِعِ الوَبَاء"...".(النسخة الخطية، اللوحة: 2، الوجه: 2)

رابعا: منهج وموضوعات المخطوط.

أوضح المؤلف رحمه الله المنهج الذي سار عليه في تأليف كتابه، فقال ما نصه: "وألفت مقدّماتها من ثلاثة أصول، في تحقيق القضاء والقدر، في تنقيح الجبر والاختيار، في بيان عالم البرزخ الذي هو محلّ ظهور النوازل والدّواهي، وبوّبتُ مقاصده، على ثلاثة أبواب:

الأول: في بيان العلل الموجبة للأمراض الوبوية والطّواعين.

الثاني: في إثبات تحريم الدخول في المهالك سيّما الوباء والطّاعون، وبيان إباحة الخروج عن البلدان الوبويّة، وترجيح الفرار عن الإقامة والسّكون.

الثالث: في بيان معالجات الأمراض الوبويّة والطّاعونية".(النسخة الخطية، اللوحة: 2، الوجه: 2)

خامسا: وصف النّسخ الخطيّة.

اعتمدت في تحقيق هذا المخطوط على نسختين خطيّتين:

الأولى: نسخة مكتبة الملك عبد العزيز في الرياض

وهي نُسخةٌ وَاضِحةٌ جيّدة، كاملة ليس فيها نقص، محفوظة في مكتبة الملك عبد العزيز في الرياض، في المملكة العربية السعودية، رقم الحفظ: 513.

عدد اللوحات: 58.

نوع الخطّ: فارسي.

عدد الأسطر: 17 سطرا.

عدد الكلمات في السطر: 11 كلمة.

المسطرة: 18× 32.

حالة النّسخة: جيّدة.

النّاسخ: غير مذكور.

تاريخ النّسخ: غير مذكور.

الثانية: نسخة دار الكتب في القاهرة

و هي نُسخةٌ جيّدة، كاملة ليس فيها نقص، محفوظة في دار الكتب القومية في القاهرة، في مصر، رقم الحفظ: 3229.

عدد اللوحات: 35.

نوع الخطّ: نسخ.

عدد الأسطر: 23 سطرا.

عدد الكلمات في السطر: 15 كلمة.

المسطرة: 18× 32.

حالة النّسخة: جيّدة.

النّاسخ: غير مذكور.

تاريخ النّسخ: غير مذكور.

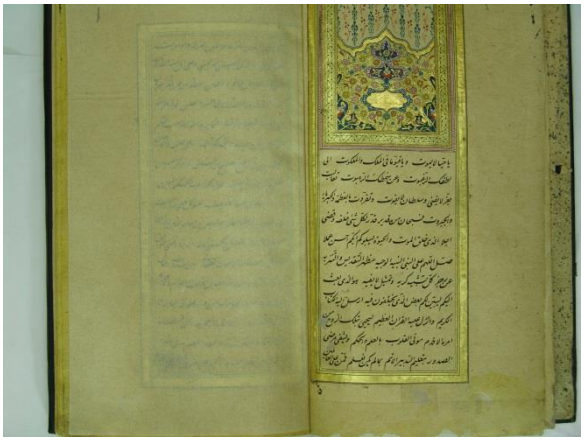

صورة الورقة الأولى من نسخة مكتبة الملك عبد العزيز

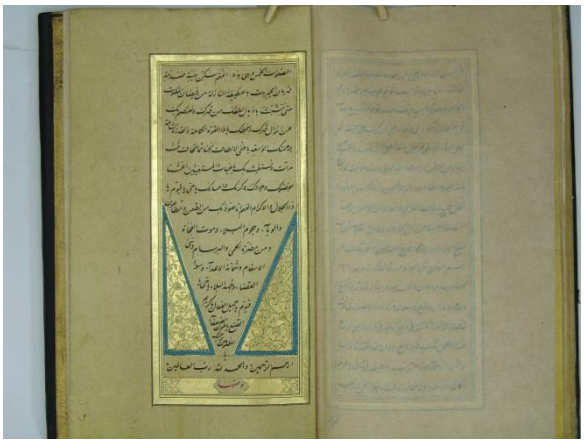

صورة الورقة الأخيرة من نسخة مكتبة الملك عبد العزيز

صورة الورقة الأولى من نسخة دار الكتب القومية

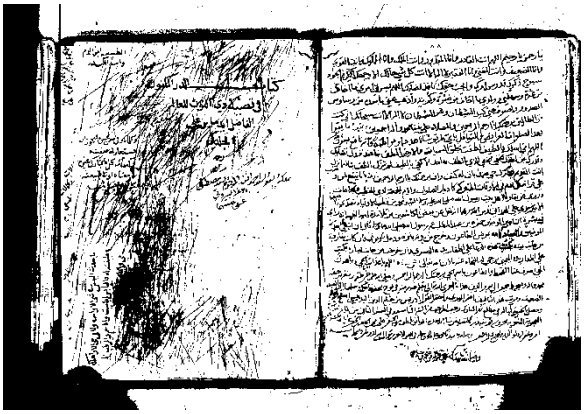

صورة الورقة الأخيرة من نسخة دار الكتب القومية

5-خاتمة

توصّلتُ في هذا البحث إلى جملة من النّتائج المهمّة:

* ترك المؤلِّف -رحمه الله- عددا من المصنفات منها ما هو محقق مطبوع، ومنها المفقود، ومنها الذي ما يزال مخطوطا.

* مخطوط "الإباء عن مواقع الوباء" يتضمن دراسة شرعية وطبية لمسألة الفرار من البلاد الموبوءة.

* نسبة المخطوط للمؤلّف صحيحة، لا غبار عليها.

* عثرت على نسختين خطيتين من هذا المخطوط، وسيتمّ تحقيقه بالاعتماد عليهما.

التوصيات

* يكتسي العمل على تحقيق المخطوطات وخدمة التّراث أهمّية كبيرة، ولذلك فإنه ينبغي توجيه عناية الباحثين في الدّراسات العليا إلى مثل هذه البحوث والدّراسات التي تهتمّ بفهرسة المخطوطات وتحقيقها وطباعتها ونشرها.

* ضرورة العناية بمؤلفات ومصنفات المسلمين في الوباء والطاعون عبر العصور، وهي كثيرة، من أجل الإسهام في حل المشكلات الوبائية المعاصرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وإخوانه أجمعين.

6. قائمة المصادروالمراجع

1.الأعلام، للزّركلي خير الدين بن محمود بن محمد، الدمشقي (1396هـ)، بيروت: دار العلم للملايين، ط: 15 (2002م).

2.إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: 1399هـ)، عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسى، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

3.خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (المتوفى: 1111هـ)، دار صادر – بيروت.

4.زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: 27, 1415هـ /1994م.

5.سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (المتوفى 1067 هـ)، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، ط: 2010م.

6.الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، أحمد بن مصطفى بن خليل، أبو الخير، عصام الدين طاشْكُبْري زَادَهْ (المتوفى: 968هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، دت، دط.

7.العين "كتاب"، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دت.

8.فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (المتوفى: 1382هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: 2، 1982م.

9.الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي (المتوفى: 1061هـ)، المحقق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: 1، 1418هـ - 1997م.

10.لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، الرويفعي، الإفريقي (711هـ)، بيروت: دار صادر، ط: 3 (1414هـ).

11.معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)»، علي الرضا قره بلوط - أحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قيصري – تركيا، ط: 1، 1422هـ - 2001م.

12.معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف بن إليان بن موسى سركيس (المتوفى: 1351هـ)، مطبعة سركيس بمصر 1346هـ - 1928م.

13.معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (1408هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د ت، د ط.

14.معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

15.هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (1399هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د ت، دط.

المجلات

1.أوراقٌ وفوائدُ في أحكام الطَّاعون لأبي عبد الله محمَّد بن الحسن بن مسعود البنَّاني الفاسي المغربي المالكي (ت:1194هـ) دراسة وتحقيق، عطاء الله فؤاد، ديسمبر 2018م، مجلة التراث، الجزائر، جامعة زيان عاشور في مدينة الجلفة، المجلد: 7، العدد: 29.